

أما كتاب :

« طوق الحمامة »

فقد جاء في سلسلة الفهارس -- مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر -- مكتبة الجلال السيوطي ، في السجل الذي يجمع ويصف مؤلفاته ما يأتي تحت (رقم ٤٤٨) :

« نسبه إليه حاجي خليفة في كشفه » .

« والعظم في عقوده » .

« والبغدادى في هدية العارفين » .

« أوله : الحمد لله مجير الحمام في البيت الحرام » .

« يوجد مخطوطاً بالاسكوربال ضمن مجموع » .

منهج التحقيق

لقد اعتمدنا على المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦ طبيعيات تيمور « ميكورفيلم » برقم ٤٢٠٩٣ .

وهو يقع في سبع وأربعين صفحة لم تسلم من التصحيف والتحريف كما تبين لى عند الرجوع إلى النصوص المنقولة في مصادرها
نثرية كانت أم شعرية .

ولقد قمت بضبط الأبيات ، وشرح ما غمض من الكلمات والعبارات ، والتعليق على ما يحتاج منها إلى تعليق مع مراعاة علامات الترقيم ، والرسم الإملائي الحديث .

كما قمت بتوثيق ما جاء بالكتاب من حديث عن طباع الحمام وصفاته بدءاً بالرجوع إلى أرسطاطاليس في كتابه وختاماً بدوائر المعارف الخاصة بالحيوان .

وكان من بين ما رجعت إليه :

- عالم الطير في مصر -- أحمد محمد عبد الخالق .
- تاريخ البريد في العالم -- جمال العرابي .
- الحمام -- دكتور عز الدين فراج .
- مع الطير -- أحمد أمين -- فيض الخاطر .
- أصل الأنواع -- داروين .

والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وأخيراً ،،

القاهرة في جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ، يناير سنة ١٩٨٧

مصطفى عاشور



طوق الحماية

الإمام جلال الدين السيوطي

كتاب

ملوك الجامعة للإمام العلامة

الحافظ المجتهد الشيخ

جلال الدين

السيوطي

رحمه
الله
آمين

الصفحة الأولى من المخطوطة

مقدمة المؤلف

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله مجيرُ الحمام في البيت الحرام ..
والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه الكرام .
هذا تأليف في «الحَمَام» يسمى :

«طَوَقَ الحَمَامَةِ»

دعا إلى تأليفه سؤالُ سُئِلَتْهُ :

هل ورد أنَّ رجلاً شكَا إلى النبي ﷺ «الْوَحْشَةَ» فأمره أن يتَّخِذَ
«زوجَ حَمَامٍ» !!؟

ورتبته على :

« أ » مقدمة . .

« ب » ومَقْصِد . .

« ج » وخاتمة . .

جلال الدين السيوطي

الحمام في اللغة والفرق بينه وبين الحمام

في لفظ الحمام لغة وما يطلق عليه والفرق بينه وبين الحمام وذكر طباعه في سفاده وبيضه .

قال الجوهري :^(١)

« الحمام عند العرب : ذوات الأطواق نحو :
الفواخت^(٢) ، والقمارى^(٣) ، وساق حُرٌّ ، والقطا ، والوراشين^(٤) .
وأشباه ذلك .
يقع على الذكر والأنثى ؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ،
لا للتأنيث » .
وعند العامة : أنها الدواجن فقط .
الواحدة : حمامة .

○ قال حميد بن ثور في قُمريّة :
وماهاج هذا الشوق إلا « حمامة »

دعت « ساق حُرٌّ » بُرهةً فترنّما^(٥)

(١) صاحب كتاب الصّحاح .

(٢) الفواخت جمع فاختة . وهي الحمامة ذات الطوق .

(٣) القُمريّة بضم القاف : كما يقول القاموس : ضربٌ من الحمام والجمع قَمَارِيّ ، وقُمَرٌ . أو الأنثى قُمريّة ، والذكر ساق حُرٌّ .

(٤) الورشان (محرّكة) : طائر وهو « ساق حُرٌّ » لحمه أخف من الحمام والجمع ورشان ووراشين .

(٥) بقية الآيات في العقد الفريد (جزء ٦) ص ٢٦٠ دار الكتب العلمية :

مُطَوِّقَةٌ خطباءٌ تسجع كلما دنا الصيف وانزاح الربيع فأُنجماء

○ وقال النابغة في القطا فيما ذكره الأصمعي :
وَأَخْكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سَرَّاجٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
فَقَالَتْ :

أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتَا أَوْ نَصْفُهُ فَقَدْ (٦)

تَغْنَتْ عَلَى غَصْنٍ عِشَاءَ فَلَمْ تَدْعُ لَنَا نَائِحَةً فِي نَوْجِهَا مُتَلَوِّمَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ شَاقِهِ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا
وَالْحَمَامَةُ هُنَا : الْقُرْبَى .

ويقول ابن عبد ربه : الحمامة تكي ، وتغني ، وتنوح ، وتغرد ، وتسجع ، وتقرقر ،
وتترنم وإنما لها أصوات سجيعة لا تفهم فيجعلها الحزين بكاء ، ويجعله المسرور غناء .
(٦) إن فتاة الحى قد نظرت إلى قطا واردة في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت هذا القطا
لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة ، فاتبعت وعُدَّت على الماء فإذا
هى ست وستون قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا فقالت
ذلك .

وفتاة الحى زرقاء اليمامة . ويقصد كن حكيما كفتاة الحى إذا أصابت وجعلت الشئ في
موضعه ، وهى لم تحكم بشئ ، إنما قالت قولاً فأصابت فيه ، ويقول التبريزى في شرح
القصائد العشر معناه : كن في أمرى حكيما ، ولا تقبل ممن سعى لى .
والثمد : الماء القليل .

ويُروى الحمام والحمام ، وكذلك نصفه ، ونصفه ، فإذا نصبته تكون مازائده وليت
عاملة ، ونصف معطوف على المنصوب .
وإذا رفعته تكون كافة لليت عن العمل ، ويصير مابعدا مبتدأ وخيرا كما تقول : إنما
محمد منطلق ، وقد بمعنى حسب .

ونعود فنقول : كم كان عدد الحمام الذى رأته زرقاء اليمامة ، فأحصته عددا من نظرة
واحدة ؟

يجيب النابغة فيقول :

فَحَسْبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا حَسِبْتَ تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تُنْقِصْ وَلَمْ تَزِدْ
وكان الحمام الذى رآته ستة وستين ، ولها حمامة فى بيتها فلما عدت الحمام الذى رآته
قالت :

○ وقال الأُموي : الدواجن التي تُسْتَفْرَحُ في البيوت تسمى : حماما أيضا .

وجمع الحمام : حمام ، وحَمَامات .
وربما قالوا : حمامٌ للمُعَرَّد .

قال :

وَذَكَرْنِي الصَّبَا بَعْدَ الشَّائِ حَامَةً أَيْكَةً تَدْعُو حَمَامًا^(٧)

○ وقال الأصمعيُّ :^(٨)

الحمام هو : البرّي .

والحمام : هو الذي يألف البيوت^(٩) .

○ ونقل الأزهري عن الشافعي :

أن الحمام : كُلُّ مَاعَبٍّ ، وَهَذَرٍ ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَسْمَاؤُهُ . وَالْعَبُّ : شِدَّةُ
جَرَجِ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ تَنْفَسٍ .
والهدِيرُ : تَرْجِيعُ الصَّوْتِ ، وَمَوَاصِلَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَقْطِيعٍ لَهُ .

لِيتَ الْحَمَامَ لِيَهْ إِلَى حَمَاتِيهِ
وَنَصْفُهُ قَدِيدُهُ تَمَ الْحَمَامُ مِيَهْ

[القصائد العشر — شرح الخطيب التبريزي — بتصرف]

(٧) ربما قالوا : حمام للمفرد . والبيت المذكور أتى به الدميري في معرض الدليل على ذلك ، وهو لجران العَوْد . والأَيْكَةُ : الشجرة ملتفة الأغصان وقد جاءت في القرآن ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦]

(٨) في كتاب الطير الكبير .

(٩) ذكر الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجه في كتابه قصة الأدب في مصر هذا الكلام من أول المقدمة منسوباً إلى الشيخ كمال الدين الدميري من كتابه « حياة الحيوان » بادئاً بقوله : الحمام : قال الجوهرى الخ .. ثم قال : وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير : أن الحمام هو الحمام البري الواحدة بمامة وهو ضروب الخ .

○ قال الرافعي: (١٠)

والأشبه : أن ماعبٌ هذر ؛ فلو اقتصروا في تفسير الحمام على «العَبِّ»
كفى لهم .

يدل عليه : أن الشافعي قال في عيون المسائل :

وماعبٌ من الماء عباً فهو حمام .

وماشربٌ قطرةً .. قطرة كاللدجاج ، فليس بحمام .



(١٠) الرافعي : هو أحد أئمة اللغة ، وقد قام العلامة الفيومي بتأليف كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . وكتاب الرافعي يسمى الوجيز .

أنواع الحمام

قال الكمال الذميرى :^(١١)

الحمام الذى يألف البيوت قسمان :

برئى : وهو الذى يلزم البروج .

وأهلى : وهو أنواع مختلفة ، وأشكال متباينة :^(١٢)

الرواعب ، والمراعيش ، والعداؤ ، والشداؤ ، والمضرب ، والقلأب .

والمنسوب : وهو بالنسبة إلى ماتقدم كالعتاق^(١٣) من الخيل . وتلك

كالبراذين .



(١١) الذميرى : هو الشيخ كمال الدين الذميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ والنص من كتابه

حياة الحيوان .

(١٢) صنوف الحمام كثيرة ، وقد قدر الباحثون عددها بنحو ٢٩٠ صنفاً . منها

نماذج بديعة رائعة الجمال .

(١٣) عتاق الخيل : كرامها ، والبراذين جمع برذون : دابة الحمل الثقيلة والتركى من

الخيل [المنجد] و فرق كبير بين عتاق الخيل والبرذون كما بين المنسوب وغيره من أنواع

الحمام ، فالبراذين غير عتاق الخيل !! فشتان ما بينهما !

النصع من الحمام كالصقلابي من الناس وهو الأبيض

○ قال الجاحظ :

النُّصَّعُ من الحمام كالصقلابية من الناس وهو الأبيض وفي التَّيَّان : الحمام : أهلى ووحشى ، وسُوق ، وطرامل ، وهو حلال بجميع أنواعه .

وكل طائر يعرف بالزواج ، ونحسن الصوت ، والهديل ، والدعاء ، والترجيع ، فهو « حمام » وإن خالف بعضه بعضا في الصورة واللون ، وفي بعض الهديل والتنوع .
كذا عرّفه الجاحظ^(١٤) .

○ وقال أبو حاتم في « كتاب الطير » :

العربُ لا تعرف حمام الأمصار ، إنما يسمونه : الحصر . وإنما الحمام عند العرب :
القطا ، والقُمَارَى ، والدبّاسى ، والوراشين ، والفواخت وساق حُرٌّ .
ونحوهن ضروب كثيرة وحشية .

○ وذكر ابن قُتَيْبَةَ وغيره :

(١٤) أبو عثمان عمرو بن بحر [١٦٠هـ — ٢٥٥هـ] عاش قرابة قرن من الزمان بلغ في سعة ثقافته وعمقها ما لم يبلغه أحد في عصره .

أن المعروف عند العرب أن الحمام : ذوات الأطواق ومأشبهها من الفواخت ، والقمارى ، والقطا^(١٥) ،

وأما الدواجنُ في البيوت فهي ومأشبهها من طير الصحراء اليمام .

○ وقال أبو حاتم :

الفرق بين الحمام واليمام : أن أسفل ذنب الحمام مما يلي ظهرها بياض ، وأسفل ذنب اليمام لا بياض فيه .

والمراد بالطوق : الحُضْرَة ، أو الحمرة ، المحيطة بعنق الحمام . وفيه يقول الفرزدق :^(١٦)

لِمَنْ يَكُ خَائِفًا لِأَدَاةِ شِعْرَى فَقَدْ أَمِنَ الْهَجَاءَ بَنُو حَرَامٍ
هُمْ رَأَوْا سَفِيهِمُ وَخَافُوا فَلَمْ يَرِ إِلَّا مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ

وفي المثل :

«تَقَلَّدَهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ»^(١٧)

لأنه لا يُزِيلُهَا ، ولا يفارقها .

وقال :

اذهب بها اذهب بها طُوقُهَا طَوْقُ الْحَمَامَةِ

(١٥) ويقول ابن عبد ربه في العقد الفريد الجزء السادس : كل مطوقة عند العرب حمامة ، كالدُّبْسَى ، والقُمْرَى ، والورشان ، ومأشبه ذلك ، وجمعها حمام . ويقال «حمامة» للذكر والأنثى ، كما يقال «بطة» للذكر والأنثى ، ولا يقال : حمام إلا في الجمع . (١٦) هو أبو فراس همام بن غالب التيمي أحد الشعراء البارزين في العصر الأموي — ومن الظواهر الأدبية التي وضحت في العصر الأموي المعركة الهجائية التي نشبت بين الشعراء ، وكان الفرزدق أحد أعمدتها .

(١٧) جاء في أساس البلاغة للزنجشري : ومن المجاز : طوقني نعمةً وطُوقْتُ منه أيادي وتَقَلَّدْتُهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ ، وتقول : في عنقي من نعمته طوق ، مالى بأداء شكره طوق (أى طاقة) .

○ قال ابن العماد :

وقد انتظم من كلام الشافعي وأهل اللغة أن الحمام : يقع على الذى يألف البيوت ، ويُستفَرخ فيها ، وعلى الحمام والقُمرى ، وساق حُرٌّ ، وهو ذكر القمرى ، والفاختة ، والدبس والقطا ، والورشان ، واليعقوب ، والقبيج^(١٨) ، والحجل ، والدُرَّاج ، والشعس ، والراعى ، والوردانى ، والطورانسى ، وقد ذهب المراززة^(١٩) : إلى أن الجميع فى الرِّبَا جنس واحد .

وقال العراقيون :

كل نوع منه جنس .. الحمام جنس ، والفواخت جنس ، والقُمارى جنس^(٢٠) .



(١٨) القبيج : طائر يشبه الحجل ، والواحدة قبيحة تطلق على الذكر والأنثى .

(١٩) جمع مَرَوَزَى . نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

(٢٠) وعليه فلا ربا عند العراقيين فى تبادل الجنسيتين .

قولهم : آلف من حمام الحرم ، وأخرق من حمامة
وأحمق !!

وفى المثل : « آلف من حمام الحرم »
« وآمن .. وأخرق من حمامة .. وأحمق »
لأنها لا تُحَكِّمُ عُشَّهَا ، فإذا هبت الريح كان مائِكَسَّرُ أكثر مما
سلم^(٢١) !!

قال عبيد بن الأبرص :^(٢٢)

عَيَا بِأَمْرِهِمْ كَمَا كَمَا عَيَتْ بِيضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ بَشْمٍ وَآخِرُ مِنْ ثَمَامِهِ

(٢١) وهذا دليل على خرقها وعدم إحسانها عملها ، فهي خرقاء ! أما المثلان الآخريان
فقد جاء في كتاب الأمثال :

وأما قولهم : « آمن من حمام مكة » فهو غير قولهم : « آمن من الأرض »
فالأول : من الأمن ؛ لأنها لا تُثَارُّ ولا تُهَاج .
أما الثاني فمن الأمانة ؛ لأن الأرض تؤدي ماتودع ويقولون أيضا آلف من حمام مكة .

(٢٢) عبيد بفتح العين وكسر الباء . هو عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء
الجاهلية وقدمائهم . وله بائية مشهورة جاء فيها :

من يسأل الناس يحرموه وسألت الله لا يجيب
سألت بأرض إن كنت فيها ولا تقبل : إننى غريب
وقد جاء في مجمع الأمثال للميداني تعليقا على المثل : « أخرق من حمامة »

لأنها لا تُحَكِّمُ عُشَّهَا ، وذلك أنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عُشَّهَا في
الموضع الذى تذهب به الريح وتحيى ، فيبضها أضيع شيء ، وما ينكسر منه أكثر مما

طَبَاغُ الْحَمَام

روى أحمد في الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح — عليه السلام — كان يقول لأصحابه :

«إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بُلْهَاءَ فِي مِثْلِ الْحَمَامِ فَافْعَلُوا»

قال : وكان يقال : ليس شيء أبله من الحمام .. إنك تأخذ فرخية من تحته فتذبحهما ؛ ثم يعود إلى مكانه ذلك ، فيفريخ فيه !!

وأخرج ابن عدى وابن عساكر من طريق محمد بن إسحق العكاش ، عن الأوزاعي ، عن مكحول والقاسم — أنهما سمعا أبا أمامة يقول : إن رسول الله ﷺ قال : «إِنْ أَخَى عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ يَوْمًا : (يَامَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ كُونُوا فِي الشَّرِّ بُلْهَاءَ كَالْحَمَامِ . وَكُونُوا فِي الْاجْتِهَادِ وَالْحَذَرِ كَالوَحْشِ ، إِذَا طَلَبَهَا الْقَنَاصُ » .

وأخرج ابن عساكر عن وهب قال :

قرأت في الإنجيل : أن المسيح قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيات ، وبُلْهَاءَ كَالْحَمَامِ » .

يُسَلِّم ، قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم .. الخ البيتين .

ويروى وعوداً من ثمامة بدلا من وآخر وهو يصفهم بالعجز والعِيّ والخرق وسوء التصرف .

أما الثَّمَم : فكما يقول القاموس — مُحَرَّكَ — شجر للقيس .. والثَّمَةُ القبضة من الحشيش ، والثَّمَامُ نبت واحدته بالهاء ويقال لما لا يَمُسرُ تناوله : «على طرف الثَّمَامِ» لأنه لا يطول ، فيكون العُشُّ هُمَيْنِ الْمُتَنَاوِل .

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال :
استقرت السفينة على «الجودي»^(٢٣) فبعث نوح الغراب ليأتيه
بالخبر ، فذهب ، فوقع على الجيف فأبطأ عليه !!

فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون ، ولطخت رجلها بالطين ؛
فعرف نوح أن الماء نضب^(٢٤) .

وقال أمية بن أبي الصلت :^(٢٥)

فأرسلت الحمامة بعد سبع	نزل على المهالك لانتها
تلمس هل ترى في الأرض عيناً	وعانية من الماء العباب
فجاءت بعدما ركضت بقطف	عليه الشطء والطين الكباب
فلما فرسوا الآيات صاغوا	ها طوقا كما عقد السحاب
إذا ماتت ثورثه بنيا	وإن تقتل فليس لها استلاب

وروى أبو داود والنسائي عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : «يكون

(٢٣) يقال : إنه جبل «أرارات» في آسيا الصغرى [الأناضول — تركيا] وهو
القول الراجح .

(٢٤) جف ، وانحسر عن الأرض ، وقد عبر القرآن عن ذلك بقول الله تعالى :

﴿وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي﴾ [هود : ٤٤]

(٢٥) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهلياً يلتمس المعارف الدينية
متعبداً راجياً أن يكون نبي العرب ، حتى إذا كانت بعثة النبي ﷺ نفّسها عليه ، وناضله
مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ . ويروى أبو الفرج الأصبهاني : أنه أكثر من ذكر
إبراهيم وإسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، واتمس الدين وطمع في النبوة ، لأنه قرأ في
الكتب أن نبياً يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبي ﷺ قيل
له : هذا الذي كنت تنتظر وتقول فيه . فحسده عدو الله وقال : إنك كنت أرجو أن
أكونه . فأنزل الله فيه : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ [الأعراف
١٧٥] ونجد الحمامة في البيت الأول تسقط على المهالك غير هيابة ويحدثنا في البيت الثاني
أنها راحت تواصل البحث عن عيون الماء .

في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرجون^(٢٦)
رائحه الجنة .

وروى ابن عدى عن جابر :
أز النبي ﷺ قال « شك الكعبة إلى الله قلة الزَّوَّارِ لها ، فأوحى
الله إليها : لأُبْعَثَنَّ أقواماً يحنون إليك كما تحنُّ الحمامة إلى فرخها »
قال الدُّمَيْرِيُّ :

في طبع الحمام أنه يطلبُ وكره ، ولو أُرسِلَ من ألف فرسخ .^(٢٧)

■ وعندما رأت الماء قد انخسر أتت بما يدل على ذلك جاءت بقطف عليه الأوراق وفي أصوله
طين الأرض . [والشطء : الورق] وفي القرآن : ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ .
[الفتح : ٢٩] .

وعندئذ عرفوا قدرها ، وصاغوا لها طوقا .. يرثه أبنائها من بعدها ، ولا يمكن سلبه !
(٢٦) لا يَسْتَمُونَ رائحتها . والحديث صحيح ذكره السيوطي في الجامع الصغير .

(٢٧) الفرسخ : ثلاثة أميال هاشمية .
وقيل : اثنا عشر ألف ذراع . وهي تقريبا ثمانية كيلو مترات . وربما تساءل الكثيرون عن
سر هذا الحمام العجيب وعن قدرته الخارقة على اكتشاف الطريق ، والاهتداء إلى أى
مكان يرسل إليه .. ؟!

ولابد من التنبيه هنا إلى نقطة هامة بل خطأ شائع .. فالحمام الزاجل لا يكتشف أى
طريق ، ولا يهتدى إلى أى مكان يرسل إليه .. إنه يكتشف الطريق إلى موطنه فقط ،
ويهتدى إلى بيته فحسب .. ! أى أنك لو أردت أن تبعث برسائلك من مصر إلى الكويت
لكان عليك أن تأتى بهذا الحمام من الكويت ليقوم بهذه المهمة ، وإن كان الحمام الزاجل
قد نجح في نقل خبر هزيمة نابليون في معركة « واترلو » إلى « لندن » فما ذاك إلا لأن
العاصمة البريطانية كانت موطن ذلك الحمام .. فيها كان بيته ، وفيها دُرب .

على أن التدريب المقصود هنا لا يتعدى تعريف الحمام ببيته ، وتمييز هذا البيت عن سائر
البيوت الأخرى وليس تدريبا على الطرق . فالحمام الزاجل يقوم برحلات العودة إلى بيته
دون تدريب على الطرق التي قد يسلكها إلى موطنه . ويقطع في ذلك آلاف الأميال دون
أن يضل السبيل !! إنها قدرة خارقة ولاريب ، وقد عجز العلم عن تفسيرها حتى الآن !
وكل ما وصلوا إليه لا يعبوا التكهنات ، كالقول إن الحمام الزاجل مجهز بحواس وأعضاء ■

ويحمل الأخبارَ ويأتى بها من المسافات البعيدة فى المدة القريبة . وفيه مايقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد .

وربما اصطبر وغاب عن وطنه عَشْرَ حجج^(٢٨) ، وهو على ثبات عقله ، وقوة حفظه ، ونزوعه إلى وطنه ، حتى يجد فرصة فيصير إليه . وسباع الطير تطلبه أشد الطلب ، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره ، وهو أَطِيرُ منه ومن سائر الطير كله ، لكنه يُدْعَرُ منه ، ويعتريه مايعتري الحمامَ إذا رأى الهَرَّ !!

وفى عيون الأخبار لابن قتيبة عن المثني بن زهير قال : لم أَرُ شيئاً من رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيتُهُ فى الحمام^(٢٩) : رأيت حمامة لا تريدُ إلا ذكراً !! وذكراً لا يريدُ إلا أنثاه ، إلى أن يَهْلِكَ أحدهما ، ويفقدها !!

ورأيت حمامةً : تتزين للذكر ساعة يُريدها !!

ورأيت حمامة : لها زوج وهى بمسكن آخر مائعدوه !!

■ تمكّنه من معرفة الطرق بواسطة الملاحظة الشمسية .

ومما يذكر أن الحمام الزاجل يتوقف عن الطيران ليلاً ، ولا يواصل رحلته إلا فى وضوح النهار .

(٢٨) عشر سنوات ، وفى القرآن الكريم ﴿ على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك ﴾ [القصص : ٢٧] .

(٢٩) ويقول الدكتور أحمد أمين فى مقال له تحت عنوان : « مع الطير » « ظريف هذا الحمام غزله علم الإنسان الغزل ، يدعو فتتمنع ، ثم تجيب وتلوى عنه عنقها » ، « ثم يتعاشقان ويتطاوعان » ثم ماشئت منه من رشف وتقيل ، ثم ماشئت منها من تيه ودلال ، ثم ماشئت منهما من فرح ومرح بالوصال .

ثم هو لطيف فى حنانه على ولده ، أرأيت كيف يقلب بيضه ؛ حتى تنال جوانب كل بيضة حظها من حرارته وحضنه ؟ وهل رأيت عنايته بعشه كيف يتخير مكانه ، وكيف يتخير عيدانه ، ثم ينسجها نسجاً متداخلاً ؟ وكيف يهندسه ليحفظ البيض من التدحرج ، ثم يتعاون الذكر والأنثى على العش — وينقل عن الجاحظ قوله — « يسخنانه ويطيّبانه ،

ورأيت حمامة : تقمط حمامة ، ويقال : إنها تبيض عن ذلك !! ،
ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ .

ورأيت ذكرا : يقمط ذكراً !!

ورأيت ذكرا : يقمط كل من لقي ولايزوج !!

ورأيت أنثى : يقمطها كل من يراها من الذكور ولاتزواج !!

وليس من الحيوان من يستعمل التَّقْبِيل عند السَّفَادِ (٣٠) سواه !!

وهو عفيف في السَّفَادِ يجز ذنبه على أثره ؛ ليعفوا أثر الأنثى كأنه قد
علم ما فعلت ، ويجتهد في إخفائه !! (٣١)

وهو يَسْفِدُ لتمام ستة أشهر .

والأنثى تحمل أربعة عشر يوما ، وتبيض بيضتين : يخرج من الأولى
ذكر ، والثانية أنثى !!

وينفيان عنه طبعه الأول ، ويحدثان له طبيعة أخرى مشتقة من طبائعهما ، ومستخرجة من
رائحة أبدانهما ، لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع أشبه المواضع بأرحام الحمام .
(٣٠) السَّفَادُ : يقال سَفَدَ الذكر على الأنثى سِفَاداً بكسر السين أى نزا . [العملية
الجنسية] .

وقمطه : شد يديه ورجليه ، ويقول أرسطو طاليس في كتابه طباع الحيوان [ترجمة يوحنا
البطريق] وتحقيق وشرح الدكتور عبد الرحمن بدوي : ويعرض للحمام شيء خاص بها في
أوان السَّفَادِ : أن يقبل بعضها بعضا إذا أراد الذكر أن يعلو الأنثى . وليس يكاد أن يسفد
الذكر قبل أن يفعل ما ذكرنا ، إلا بعد الكبر . فأما الشباب فليس يسفد قبل أن يقبل
الأنثى . ثم يدع ذلك عند الكبر .

وإناث الحمام يعلو بعضها بعضاً إذا لم يكن ذكر في قربها ، وليس يعلو بعضها بعضا إلا
بعد القبل ، كما تفعل الذكور [ص ٢٤٨] .

(٣١) لقد لفت القرآن أنظارنا إلى ما في حياة الحيوان والطير لنا من دروس عندما
بعث غرابا يبحث في الأرض ليرى أحد ابني آدم كيف يوارى سواة أخيه بعد قتله
إياه .. ولفت أنظارنا على لسان « غملة » أفلا نواصل المسيرة لتتلقى كل يوم مزيدا من العبر
والدروس النافعة ؟ أليس الإنسان أولى بالستر على حليته ؟! إن في حياة الحمام دروسا
بالغات .

وبين الأولى والثانية يوم وليلة .

والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءاً من النهار ، والأنثى بقية
النهار ، وكذلك في الليل !!

وإذا باضت الأنثى ، وأبت الدخول على بيضها لأمرٍ ما ضربها
الذكر ، واضطرها للدخول !

وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه من الوكر^(٣٢) وإذا
خرج الفرخ من البيض مضغ أبوه تراباً مالحاً وأطعمه إياه ؛ ليسهل به
سبيل الطعم^(٣٣) .

وزعم أرسطو : أن الحمام يعيش ثمان سنين .

(٣٢) مآشد حاجة الإنسان الذي كرمه الله بالعقل والعلم إلى شيء من الحياء وصيانة
ماء الوجه بعد أن تبلدت المشاعر والأحاسيس ، وراحوا يمارسون الجنس على مرأى
ومسمع ويقول الدكتور أحمد أمين : « ليت كل أسرة ترى في بيتها حمماً وترقب
عيشته ، فيتعلم منه الآباء كيف تكون العناية ، وكيف يكون الحنان ، ويتعلم منه الآباء
كيف يجازون جهد الآباء وتضحياتهم .

وإذا خرج الفرخ نفخاً في حلقة حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما أن آلات ممر غذاء
الفراخ لا تحتمل الطعام فيزقانه أولاً باللعب المختلط بالطعام مكان اللين ، ويعلمان أن
حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان من سفوح الحيطان .

(٣٣) يقول الفزويني في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» « إذا
وضعت الأنثى البيض يتناوبان عليه الحظن بعدما سخنا موضعهما ، ويقلبان البيض في
أيام الحظن ، وأكثر على الأنثى التي تتكفل بالحضانة ، فإذا صارت فراخاً ، فأكثر الرُّقُّ
على الذكر كالرجل الذي يتكفل بالنفقة .

ثم يقول : وترى عجباً بين زوج الحمام من الملاعبة والعُنج مثل مايجرى بين الناس من
القبلة والمعانقة وغيرهما .

ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه ، وحمامة لاتسجد إلا مع شدة الطلب ، ورأيت
ذكراً له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه ، ورأيت أنثيين يتساحقان كسحاق النساء ..

الرَّاعِيَّةُ :

ومن الحمام « الراعية » منسوبة إلى أرض يقال لها : راعب .

الوزى :

ومن الحمام « الوزى » وهو ضرب من الحمام يَضْرِبُ إلى حُمْرة وصفرة .

كنية الحمام :

وفى الزنبيل : « لابن خالَوَيْه » كنية الحمام :
« أبو مهنى »

المعرقل :

والمعرقل : الذكر من الحمام .

